

## محاضرات مقياس قضايا النقد الأدبي القديم

الأستاذة: فوزية سعيود

المستوى: سنة ثانية ماستر أدب قديم، الفوج: 01، السداسي الثالث.

المحاضرة الثامنة: قضية السرقات الشعرية

تمهيد:

تعد قضية السرقات الشعرية من أقدم وأخطر قضايا النقد الأدبي ليس عند العرب فحسب، بل في الآداب القديمة كالإيونانية والرومانية وغيرها؛ لأن الاتهام بالسرقة من المطاعن التي يسهل تناولها، فالعصر الجاهلي الذي عُرف بأصالة شعرائه واعتزازهم بشعرهم، قد عرف عنهم مثل هذا الاتفاق أو التشابه عند بعضهم؛ مما أباح للنقاد أن يتهموهم بالأخذ والسرقة. من ذلك ما ذكره "ابن قتيبة" من أن "طرفة بن العبد" أخذ من "امرئ القيس" قوله:

وقوفا بها صَحْبِي عَلِيٍّ مَطِيَّهِمْ      يقولون: لاتهلك أَسَىً وتَجَمَّلِ

فقال طرفة:

وقوفا بها صَحْبِي عَلِيٍّ مَطِيَّهِمْ      يقولون: لاتهلك أَسَىً وتَجَدِّدِ

وها هو "حسان بن ثابت" يفخر بأنه لا يسرق من الشعراء فقال:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا      بل لا يوافق شعرهم شعري

ولعل "الفرزدق وجريير" أول من فتحا باب الكلام في السرقات الشعرية على الصعيد الفني، فقد روى "الأصمعي" قال: «سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لقيت الفرزدق في المرید فقلت: يا أبا فراس قلت شيئا، أحدثت شيئا؟ فقال: خذ، ثم أنشدني:

كم دون مِيةٍ من مستعمل قذف      ومن فلاة تُستودع بها العيسُ

فقال: سبحان الله، هذا "الملتمس"، فقال: أكتمها، فلضوال الشعر أحب إليّ من ضوال الإبل».

أولا \_ مفهوم السرقات الأدبية لغة واصطلاحا:

السرقه في اللغة هي أخذ أو اختلاس ما للآخرين من أشياء مادية أو معنوية خفية ودون وجه حق. جاء في لسان العرب لابن منظور: «سرق الشيء يسرقه سرقا وسرقا واسترقه. والسارق عند العرب من جاء مستترا إلى جِرْزٍ فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مختلس ومستلب ومنتهب ومحترس».

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: «السين والقاف والراء أصل يدل على أخذ شيء في خفاء وستر، يقال: سرق يسرق سرقةً. والمسروق سَرَقٌ، واسترق السمع، إذا تسمع مختفيا». وهو معنى عام ومن هذا المعنى العام انتقل إلى الاصطلاح على سبيل المشابهة فخصص بإطلاقه على الشاعر الذي يعمد إلى شعر شاعر آخر فيسرق ألفاظه، أو معانيه، أو يسطو عليها لفظا ومعنى، ثم يدعي ذلك لنفسه.

### ثانيا \_ آراء بعض النقاد في السرقات الأدبية:

من المعلوم أن قضية السرقات لم تظهر بصفة منهجية واضحة إلا بعد ظهور الخصومة بين النقاد في أبي تمام والبحثري، حيث صنفت حولهما كتب ورسائل عديدة. تناولت بالدراسة وتقصي المعاني سرقات أبي تمام على وجه الخصوص.

تعرض "القاضي الجرجاني (ت392هـ) لمسألة السرقات الشعرية في كتابه "الوساطة"، وقد كان يتحرج في إصدار الحكم بالسرقه ويقر بصعوبته، ويذكر أنه باب لا ينهض به إلا الناقد البصير ، وليس كل من تعرض له أدركه .

ولا يعدّ "القاضي الجرجاني" من السرق الصحيح إلا ما جمع اتفاق الألفاظ، وتساوي المعاني، وتماتل الأوزان، وأخرج من السرقات كلا من:  
\_ التوارد.

\_ المعاني المشتركة بين الشعراء، من مثل تشبيه الحسن بالشمس والبدر، والكريم بالغيث والبحر، لأنها معان أولية يتداولها الجميع.

\_ الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأمثال وأقوال الحكماء والفلاسفة، فكلها لا تدخل في باب السرق.

\_ إذا أتى متقدم بمعنى مبتذل، ثم جاء متأخر فأخذ معناه ولفظه فإنه لا يُعدّ سارقاً. وكذلك إذا جاء متقدم بمعنى أو صورة جميلة، ثم حاذاه المتأخر بمثل إحسانه، لا يعد عمله سرقة. ويُعدّ "الأمدي" (ت371هـ) من أبرز نقاد القرن الرابع الهجري الذين عالجوا قضية السرقات الأدبية، وكتابه "الموازنة بين أبي تمام والبحتري" خير شاهد على ذلك، حيث يرى أنه لا توجد سرقة في الألفاظ لأنها مباحة غير محظورة، وإنما السرقة في المعاني المخترعة التي يختص بها شاعر، لا في المعاني المشتركة بين الناس والتي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، حيث يقول: «إن السرقة إنما في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة بين الناس، التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الفطنة فيه عن الذي يورده أن يقال إنه أخذه من غيره».

أما "ابن رشيق" (ت456هـ) فقد خصّ السرقات بباب مستقل في كتابه "العمدة" وسمه: "باب السرقات وما شاكلها"، وقال عنه: «باب متّسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل»، حيث نقل آراء سابقيه من النقاد، ثم ذكر أنواع السرقات والفرق بينها.

وتحدث "ابن الأثير" (ت637هـ) عن السرقات بشيء من الشدة والقسوة وهذا في قوله: «والذي عندي في السرقات أنه متى أورد الآخر شيئاً من ألفاظ الأول في معنى من المعاني، ولو لفظة واحدة فإن ذلك من أدل الدليل على سرقته»، ثم قسم السرقات الشعرية إلى ثلاثة أقسام: نسخا وسلخا ومسحا.

\_ **النسخ:** هو أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه مأخوذاً ذلك من نَسَخ الكتاب.  
\_ **السلخ:** هو أخذ بعض المعنى، مأخوذاً ذلك من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ.

\_ **المسخ:** هو إحالة المعنى إلى ما دونه، مأخوذاً ذلك من مَسَخ الأدميين قرده.

وهناك قسمان آخران لا يعدهما "ابن الأثير" سرقة» فأحدهما أخذ المعنى مع الزيادة عليه، والآخر عكس المعنى إلى ضده».

### ثالثاً \_ مصطلحات السرقات الأدبية:

1 \_ النقل والقلب: يرى "الجرجاني" أن النقل والقلب من أنواع السرقات التي لجأ إليها المحدثون لإخفاء السرقة، ومنه قول "المتنبي":

أحبه وأحب فيه ملامة      إن الملامة فيه من أعدائه  
فقد نقض به قول "أبي الشيبان":

أجد الملامة في هواك لذيدة      حبا لذكرك فليلمني اللوم

2 \_ الاضطراب: وهو أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه لنفسه، وهو نوعان:

\_ الاجتلاب: وهو أن يجلب الشاعر بيتاً من شعر غيره تمثلاً به لا ادعاء تأليفه، كقول "عمرو ذي الطوق":

صدت الكأس عنا أم عمرو      وكان الكأس مجراها اليقينا  
وما شرّ الثلاثة أم عمرو      بصاحبك الذي لا تصبحينا

فاستلحقهما "عمرو بن كلثوم" في قصيدته المعروفة:

ألا هبّ بصحنك فاصبحينا      ولا تبقي خمور الأندرينا

\_ الانتحال: وهو ادعاء الشاعر البيت لنفسه، كقول "جرير":

إن الذين غدوا بلبك غادروا      وشلا بعينيك لا يزال معينا  
غيّضن من عبراتهن وقلن لي      ما ذا لقيت من الهوى ولقينا

فالرواة مجمعون على أن البيتين "لمعلوط السعدي" انتحلها "جرير".

3 \_ الإغارة: وهي أن يبدع شاعر بيتاً ويخترع فيه معنى جميلاً، فيأخذه من هو أشدّ منه

ذكراً وأبعد صيتاً فينسبه لنفسه كما فعل "الفرزدق" ببيت "جميل" وقد سمعه ينشد:

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا      وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

فقال "الفرزدق" متى كان الملك في بني عذرة، إنما هو في مضر وأنا شاعرهما فغلب الفرزدق على البيت.

4 \_ الاختلاس: وهو تحويل المعنى من غرض إلى غرض آخر، كقول "كثير" يتغزل:

أريد لأنسى ذكراها فكأنما      تمثل لي ليلي بكل سبيل

هذا المعن اختلسه كثير من معنى آخر في قول "أبي فراس الحمداني" وهو يمدح قائلاً:

ملك تصور في القلوب مثاله      فكأنه لم يخل منه مكان

5 \_ الموازنة: وهي أخذ بنية الكلام ، كقول "كثير":

تقول مرضنا فما عدتنا      وكيف يعود مريض مريضاً

فقد وازن فيه قول "النابغة التغلبى":

بخلنا لبخلك قد تعلمينا      وكيف يعيب بخيل بخيلاً

6 \_ المواردة: وهي أن يقول الشاعران البيت لم يسمعه أحدهما من الآخر أو عنه حتى وإن

كان الاتفاق في بعض اللفظ وكل المعنى، كقول "طرفة بن العبد":

وقوفا بها صحبي علي مطيهم      يقولون لا تهلك أسى وتجدد

توارد مع قول "امرئ القيس":

وقوفا بها صحبي علي مطيهم      يقولون لا تهلك أسى وتجمّل

7 \_ الالتقاط والتلفيق: وهو جلب الشاعر الكلام من أكثر من بيت لغيره حتى ينظم بيتاً،

يقول "يزيد بن طثيرة":

إذا ما رأني مقبلاً غضّ طرفه      كأن شعاع الشمس دوني يقابله

فأوله من قول "جميل":

إذا ما رأوني طالعا من ثنية      يقولون من هذا؟ وقد عرفوني

ووسطه من قول "جرير":

فغضّ الطرف إنك من نمير      فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعجزه من قول "عنتره":

أذا أبصرتني أعرضت عني

كأن الشمس من حولي تدور